بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

( )

تذكير العباد بما حل بقوم عاد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧١] أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

عباد الله: إن من رحمة الله تعالى بعباده أن نوع لهم أساليب التذكير والإنذار لتحصل لهم الخشية والعظة والاعتبار فيحذروا غضب الجبار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ومن ذلك سوق قصص من مضى من الأمم قبلهم التي انتقم الله منها حين كذبت وعتت وتجبرت وأعرضت، حتى يحذروا بطشه وغضبه قال جل وعلا ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود:١٢٠]

وقال سبحانه ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف:٣]

وأمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يقص القصص على أمته ليتفكروا ويعتبروا فقال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف:١٧٦]

فكم يجعل الله في ذلك من عِبرة وذكرى لأولي الألباب قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١]

ومن تلكم القصص العظيمة التي قصها ربنا جل وعلا في كتابه قصة قوم كانوا في هذه البلاد اليمنية مابين عَمَّانَ وَحَضْرَمَوْتَ فقد كَانَتْ مَسَاكِنُهُمْ باليمن بالأحقاف وهي جبال الرمل وكانوا أهل قوة شديدة كما قال الله عنهم ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فُصِّلَت:١٥]

وكانوا في خِلْقَةٍ عظيمة لم يُخلق مثلهم بقوتهم وعظمة أجسامهم قال ربهم عنهم ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ [الفجر:٨]

وَقَوْلُهُ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بُيُوتَ الشَّعر الَّتِي تُرْفَعُ بِالْأَعْمِدَةِ الشِّدَادِ، وَقَدْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ خِلْقَةً وَأَقْوَاهُمْ بَطْشًا.ا.هـ [1]

ولذا قال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾﴾ لِقُوَّتِهِمْ وَشِدَّتِهِمْ وَعِظَمِ تَرْكِيبِهِمْ.

وكانوا أهل بنايات فارهات وصناعات عظيمات كما أخبر ربنا على لسان نبيهم أنه قال لهم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الشعراء:١٢٩]

---

(١) .تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره [لسورة الفجر:٨]

فقد كانوا يبنون ذَلِكَ البناء عَبَثًا لَا لِلِاحْتِيَاجِ إِلَيْهِ؛ بَلْ لِمُجَرَّدِ اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ وَإِظْهَارِ الْقُوَّةِ فقط، ويتخذون صناعة البروج العالية وقيل: مآخذ الماءكل ذلك عبثا وكانوا أهل بطش وتجبر ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء:١٣٠]

حتى قيل أن الواحد منهم يأخذ الصخرة العظيمة فيلقيها على المجموعة من الناس فيهلكهم وهم مع ذلك في نعمة ومِنَّةٍ بالغة ذَكَّرَهُم بها نبيهم ﷺ فقال لهم ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشعراء:١٣٤]

وقال لهم ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف:٦٩] فقد كَانَ زَمَانُهُمْ بَعْدَ قَوْمِ نُوحٍ.

وَكانوا في قوة جسم وسعة رزق ورفاهية عيش وكل ذلك مِنَّةً من الله لا من غيره فعبدوا غير الله وجعلوا لهم آلهة يتقربون إليها ويصرفون إليها عباداتهم فأرسل الله إليهم رسولهم أخاهم هودا ﷺ من أشرفهم وأكرمهم نسباوكل نبي يرسل من أشراف قومه ليدعوهم إلى توحيده وعبادته دون ماسواه من الأصنام المخلوقة والآلهة المصنوعة التي كانوا يعبدونها من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فذكرهم ووعظهم وحذرهم غضب ربهم ونقمته وأمرهم بالتوحيد لله في عبادتهم قال الله جَلَّ جَلَالُهُ ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [هود:٥٠]

وقال سبحانه ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف:٢١]

وبين لهم نبيهم ﷺ أنه لا يريد منهم جزاء ولا أجرا على دعوته تلك وإنما هو مرسل من ربهم الذي أمدهم بتلك النعم والآلاء فقال لهم ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [هود:٥١]

ووعدهم على استجابتهم له واستغفارهم لربهم الخيرات العظيمة والأرزاق الدَّارَّة ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود:٥٢]

وذكرهم بنعم الله عليهم ليقابلوا النعمة بالشكر للمنعم لا بالجحود والتنكر لمسديها فقال لهم ﷺ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف:٦٩]

وقال لهم مذكرا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾ [الشعراء:١٣٤]

وخوفهم عذاب الله وأنذرهم بطشه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين فقال لهم ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء:١٣٥]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف:٢١]

فكذبوه وجحدوا نبوته وعاندوا دينه وشريعته بل وقالوا له تكبرا وتجبرا ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [هود:٥٣]

بل واتهموه بالجنون من جَرَّاءِ إصابة آلهتهم له بسبب تسفيهه لها وأمرهم بعدم عبادتها فقالوا له ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [هود:٥٤]

أي قد أصابتك آلتنا بالجنون عقوبة وانتقاما منها لك بسبب تعرضك لها ونهينا عن عبادتها

بل واتهموه بالسفه والكذب وهو النبي المرسل من عند الله ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف:٦٦]

فرد عليهم بقوله ﷺ ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف:٦٨]

فلم تغن عندهم أخلاقه الحسنة ورده عليهم بالتي هي أحسن بل أنكروا عليه أمره لهم بترك ماكانت عليه آباؤهم وأجدادهم واستعظموا أن يعبدوا إله واحدا ويتركوا تلك الآلهة فقالوا ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٧٠﴾ [الأعراف:٧٠]

فتعجب نبيهم ﷺ من ردهم الهزيل وحجتهم البائرة التي يريدون بها دفع الحق الواضح والنور البين، وذلك أنهم جعلوا السبب في كفرهم بالله وجعلهم الشركاء له أن هذا ماكان عليه آباءهم وأجدادهم من قبل، وهكذا كل صاحب باطل يلتمس لرد الحق كل قشة يتشبث بها فليس له حجة ولا بينة لدفع قوة الحق ونوره وإنما هي شقشقات وتراهات لا تغني ولا تسمن من جوع ولا يدفع بها الحق الواضح البين فقال لهم ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١﴾ [الأعراف:٧١]

فما زادهم ذلك إلا عتوا ونفورا فقالوا له ﴿قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ١٣٦﴾ [الشعراء:١٣٦]

بل قالوا له أن هذه الدعوى ليست جديدة بل ادعاها قبلك من أناس وهم كاذبون فيها والعياذ بالله كفرا جحودا ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧﴾ [الشعراء:١٣٧] أَيْ اخْتِلَاقُ الْأَوَّلِينَ وَكَذِبُهُمْ.

واستبعدوا أن يكونوا معذبين كما يحذرهم وينذرهم ﷺ بمخالفتهم وعدم الإيمان به فقالوا ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ١٣٨﴾ [الشعراء:١٣٨]

وصرحوا بتكذيبهم له وعدم إيمانهم به وإصرارهم على شركهم وكفرهم فقالوا ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ٥٣﴾ [هود:٥٣]

وتفاخروا بشدة قوتهم وعظيم بأسهم كما قال الله عنهم ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [فُصِّلَت:١٥]

ونسوا أن القوة لا تغني من عذاب الله شيئا نعوذ بالله من الأمن من مكره ومن أن يأخذنا بذنوبنا ببطشه ونقمته اللّٰهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العلي الكبير المتفرد بالخلق والتقدير والتدبير الذي أعز أولياءه فنصرهم وأذل أعداءه فخذلهم فنعم المولى ونعم النصير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن محمدا عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المآب والمصير وسلم تسليما.

أما بعد أيها الناس فإن قوم عاد ظاد طغيانهم وعظم شرهم وتجبرهم حتى تحدوا نبيهم أن يأتيهم بما يعدهم به من العذاب تجبرا وتكبرا فقالوا له ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف:٧٠]

فلما يئس منهم ﷺ تحداهم تحدٍّ واثق بربه معتز بإيمانه قوي بعقيدته أن يصلوا إليه بكيدهم وأذاهم فقال لهم ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود:٥٦] فلم يستطيعوا لأن معه الله حافظا ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّمَر:٣٦] فحينئذ أمر الله السماء أن تمسك مطرها ثلاث سنين والأرض أن تمسك ماءها حتى أصابهم القحط

والجدب والشدة الشديدة في ذلك ثم إن الله أرسل عليهم سحابة ففرحوا وظنوا أن بها الغيث والمطر فقالوا كما أخبرالله عنهم﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾

فقال لهم نبيهم ﷺ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف:٢٤]

فأرسل الله عليهم ريحا صرصرا عظيما يأخذ الواحد منهم فيرفعه إلى أعالي السماء ثم ينكسه على رأسه ويهوي به إلى الأرض فيدقه في الأرض فينفصل رأسه عن جسده والعياذ بالله فيصير جثة هامدة لا حراك بها كأنهم أعجاز نخل خاوية قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة:٨]

وقال جَلَّ جَلَالُهُ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف:٢٥]

وقال تعالى﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾[الذاريات:٤٢] فأخذهم جل وعلا بذنوبهم ولم تغن عنهم تلك القوة شيئا، ولم ترد عنهم تلك البنايات عذاب الله النازل بهم فلا إله إلا الله ما أعظم نقمة الله على من خالف أمره وكذب رسله وأشرك به سبحانه وآذى أولياءه.

ونجى الله هودا ومن آمن معه رحمة منه وفضلا قال جل وعلا﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأعراف:٧٢]

وفي هذه القصة فوائد كثيرة منها: أن كثيرا من العباد إذا أُنعم عليه تجبر وتكبر وطغى ونسي ربه والعياذ بالله كما قال الله تعالى﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العلق:٧]

ومنها: رحمة الله بعباده بإقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين فقال جَلَّ جَلَالُهُ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء:١٦٥]

ومنها: أن قوة الصناعات وعظيم المخترعات والآلات الحربية لا تغني من عذاب الله شيئا ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأنعام:١٤٧]

ومنها: أن من تعلق بشيء وُكِل إليه فقوم هود تعلقوا بقوتهم، وقوتهم أمام الله ضعف فكان عاقبة أمرهم ما سمعت من النكال والعذاب ولم تغن عنهم قوتهم تلك شيئا.

ومنها: شؤم الذنوب والمعاصي وخاصة الشرك بالله فإنه يدع الديار بلاقع فليحذر العبد أن يتعرض لسخط الله ونقمته فإن الله يغار.

ومنها: عدم الأمن من مكر الله ونزول عقابه فيبقى العبد حذرا خائفا من ربه وأن يأتيه غضب الله ونقمته وهو في حين غفلة وعلى حين غرة.

كما قال الله تعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف:٩٩]

وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا هبت الريح فزع أن يكون عذابًا فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مخيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا أمطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مَا أدري لعله كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ [الأحقاف:٢٤]

ومنها: أن من عادة أهل الشر والفساد الطعن والقدح في دعاة الهدى والرشاد ونبزهم بالألقاب المنفرة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف:٦٦]

ومنها: أن جميع ماخلق الله جند من جنوده قد يسلطه الله على من يشاء فيدمره ويهلكه فالريح يرسلها الله لمنافع العباد ومتى أراد الله أن يجعلها عذابا كانت كذلك.

ومنها: أن نسيان تذكر نعم الله موجب لعقوبة الله وسخطه وتذكرها مما يولد للعبد الحياء من ربه وخشيته والتقرب إليه وتوحيده.

ومنها: قوة الموحِّد وشجاعته وإقدامه وعدم خوفه ورهبته من الباطل وأهله وثباته ورسوخه.

ومنها: حفظ الله لأوليائه ومدافعته عنهم ونجاته لهم حال نزول البلاء وحصول الشرور.

ومنها: أنه يجب علينا أخذ العظة والعبرة مما سبق من الأمم ولذا قال الله تعالى بعدها بآيات ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف:٢٧]

نسأل الله أن يدفع عناوعنكم غضبه ونقمته وأسباب سخطه وعذابه، اللّٰهم إنا نعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، اللّٰهم اصرف عنا مضلات الفتن ماظهر منها وما بطن اللّٰهم اغفرلوالدينا وارحمهما كما ربيانا صغارا.

اللّٰهم احفظ علينا ديننا وعقيدتنا وبلدنا وأمننا وارزق ولاة أمورنا البطانة الصالحة ووفقهم لطاعتك ومايرضيك عنهم يارب العالمين.